﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾﴾ [غافر: 49]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

الـلُّـجـوء إلى الـمـلائـكـة بعد الـيـأس مـن البشر

لمّا ذكرت الآيات السّابقةُ أنَّ الضُّعفاء قد يئسوا من إغاثة متبوعيهم، وأنَّهم كلُّهم سواء في عدم القدرة على دَفْعِ العذاب؛ ناسب أن يُذكر هنا حال الفريقين من الأتباع والمتبوعين، وأنَّهم رجعوا جميعًا إلى خَزَنةِ جهنَّمَ، وطلبوا منهُم أن يدعوا اللّهَ لهُم بالتَّخفيفِ[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿لِخَزَنَةِ﴾: (خزن) أصلٌ يدلُّ على صيانةِ الشَّيءِ، وسَتْرِهِ وحِفْظِهِ[2]، والخَزْنُ في الأصلِ: حِفظُ الشَّيءِ في الخِزانةِ[3]، ثمَّ يُعبَّرُ بهِ عن كلِّ حِفْظٍ، كحِفْظِ السِّرِّ ونحوِهِ، والخَزَنَةُ: جمعُ خازنٍ[4]، وهو الحافظُ لِما في المكانِ مِن مالٍ أو عُروضٍ[5]، والمرادُ بهِم هنا: مَن يقومونَ بأمرِ تعذيبِ أهلِ النّارِ[6].

2) ﴿يُخَفِّفْ﴾: (خفف) أصلٌ يدلُّ على ضدِّ الثِّقَلِ والرَّزانةِ[7]، ومِن ذلكَ: الخفيفُ، وهو ضدُّ الثَّقيلِ[8]، والتَّخفيفُ: ضدُّ التَّثقيلِ، ويقالُ: استخفَّهُ، وهو خلافُ استثقلَهُ[9]، والمرادُ هنا: ترْكُ تعذيبِهم بمقدارِ يومٍ[10].

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 27/ 522، والبقاعي، نظم الدرر: 17/ 84، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 163.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (خزن)، والسمين، عمدة الحفاظ: (خزن).
(3) الجوهري، الصحاح: (خزن).
(4) الراغب، المفردات: (خزن).
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 164.
(6) الزمخشري، الكشاف: 4/ 171.
(7) ابن فارس، مقاييس اللغة: (خفف).
(8) الزبيدي، تاج العروس: (خفف).
(9) الجوهري، الصحاح: (خفف).
(10) ابن جرير، جامع البيان: 21/ 399.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

استغاثةُ أهل النّار بالملائكةِ لتخفيف العذاب

يُخبرُ اللّهُ تعالى عن محاولةٍ أخرى لجأ إليها المشركونَ لتخفيفِ العذابِ عنهُم، فيقولُ: وقالَ أهلُ النّارِ لخَزَنةِ جهنَّمَ وقوّامِها، مستغيثين بهِم مِن عظيمِ ما هم فيهِ مِنَ البلاءِ: ادْعوا ربَّكم لنا يخفِّف عنّا قدرَ يومٍ واحدٍ مِنَ العذابِ الشَّديدِ الَّذي نحنُ فيهِ[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

سرُّ التَّعبير بالواوِ في ﴿وَقَالَ﴾:

الانتقالُ إلى حوارٍ آخرَ في النّارِ

أوثِرَ التَّعبير بالواو في قولِهِ تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ﴾ دون غيرها لتعدُّد المراد بها، فتحتمل أن تكون لعطفِ هذهِ الجملةِ على جملةِ: ﴿يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ﴾، وتدخلُ هذهِ الجملةُ في حيِّزِ كلمةِ (إذ)، والتَّقديرُ: واذكُرْ إذ يتحاجّونَ في النّارِ، واذكُرْ إذ قالَ الَّذينَ في النّارِ إلخ[2]. ويحتملُ أن تكونَ الواوُ للاستئنافِ، والجملةُ مستأنفةٌ للانتقالِ إلى حوارٍ آخرَ بعدَ ذكرِ حوارِ الأتباعِ والمتبوعينَ.

نكتةُ التَّعبيرِ بالماضي في ﴿وَقَالَ﴾:

تحقُّقُ استغاثةِ أهلِ النّارِ بالخَزَنةِ

عُبِّرَ بصيغةِ الماضي في قولِهِ تعالى ذكرُهُ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ﴾؛ للتَّنبيهِ على تحقُّقِ هذا القولِ، وتحقُّقِ استغاثةِ أهلِ النّارِ بالملائكةِ، وفي هذا زجرٌ للكفّارِ والمشركين؛ لكي يقلعوا على ما هم فيه.

غرضُ التَّعبيرِ بالموصولِ:

قبحُ حالِ أهلِ النّارِ

عُبِّرَ بالموصولِ في قولِهِ تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ﴾؛ ليشملَ جميعَ مَن في النّارِ مِنَ الأتباعِ والمتبوعينَ[3]، وللتَّوصُّلِ بما في حيِّزِ الصِّلةِ إلى تقبيحِ حالِهم، والتَّسجيلِ عليهِم بأنَّهم أهلُ السَّعيرِ.

(1) الطبري، الجامع لأحكام القرآن: 21/ 399، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 7/ 149.
(2) أبو موسى، آل حم، ص: 179.
(3) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 17/ 77، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 163.

دلالة التَّعبير بالظَّرفيَّة ﴿فِي﴾:

سـوءُ حـالِ مَـن مَسكنُهُ النّارُ

جيءَ بحرفِ الجرِّ الدّالِّ على الظَّرفيَّةِ المكانيَّةِ في قولِهِ تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ﴾؛ للتَّنصيصِ على أنَّ النّارَ صارَتْ ظرفَ مكانٍ للكفرةِ المعذَّبينَ، وما أقبحَهُ مِنْ مكانٍ!

وفي التَّعبير بالظرفيَّة إشارةٌ إلى أنَّ المعذَّبين صاروا كالمظروفين في الظَّرف الذي أحاط بهم من كلِّ مكان، وهذا يدلُّ على شدَّة تلبُّسهم بالنّار وتلبُّس النّار بهم كأنَّهم صاروا شيئًا واحدًا لا ينفكُّ أحدهما عن الآخر.

دلالةُ تعريفِ ﴿ٱلنَّارِ﴾:

تعريفُ ﴿ٱلنَّارِ﴾ في قولِهِ ﷻ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ﴾ للعهدِ؛ إذ المرادُ بها نارٌ مخصوصةٌ معهودة، وهي نار الآخرةِ.

دلالة اللّامِ في ﴿لِخَزَنَةِ﴾:

قـولُ أهـلِ النّـارِ مُنْتَهٍ إلى الخَزَنةِ

اللّامُ الجارَّةُ في قولِ الحقِّ جلَّ شأنُهُ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ﴾ للتَّبليغِ، فتفيدُ أنَّ قولَ أهلِ النّارِ يَبْلُغُ الخَزَنةَ، وينتهي إليهم؛ إذ هم المقصودونَ بالخطابِ دون غيرهم؛ طمعًا في أن يجدوا عندهم شيئًا من التَّخفيف.

دلالة التَّعبير بقوله: (خزنة):

دلَّ التعبير بلفظ الخزنة في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ﴾ على صورة ذهنيَّة لجهنَّم عند السّامع؛ إذ يُفهم من هذا التَّعبير وجود حرّاس، وهم الملائكة الموكلون بما تحويه من النّار ووقودها والمعذَّبين فيها، وموكلون بتسيير ما تحتوي عليه دار العذاب وأهلها[1].

نكتةُ الإضافةِ في ﴿لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ﴾:

الإضافةُ في قولِهِ تعالى: ﴿لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ﴾ لاميَّةٌ، أي: لخَزنةٍ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 164.

لجهنَّمَ، وهم الملائكةُ القائمونَ على أمرِها وعلى تعذيب المشركين ونحو ذلك.

الخَزَنةُ موكَّلونَ بشؤونِ جهنَّمَ

وفي هذه الإضافة مزيدُ تهويل وتخويف، تخويف من النّار وعذابها، ومن خزنتها القائمين عليها، كقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَـٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦﴾ [التحريم: 6].

بلاغةُ إظهارِ جهنَّمَ في مقامِ الإضمارِ:

الكفرةُ في مكانِ الوَيْلِ والثُّبورِ

الظّاهرُ أن يقالَ: (لخَزَنتِها) بإرجاعِ الضَّميرِ إلى النّارِ، لكن عُدِلَ عنهُ إلى إظهارِ جهنَّمَ في قولِهِ تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ﴾؛ لأنَّ في ذكرِ جهنَّمَ تهويلًا وتفخيمًا[1]، فيكون على هذا الاحتمال ذِكرُ ﴿جَهَنَّمَ﴾ إظهارًا في مقام الإضمار، ويحتملُ أن يكونَ ذلكَ لبيانِ محلِّ الكفرةِ في النّارِ، بأن تكونَ جهنَّمُ أبعدَ دَرَكاتِها[2]، وعلى هذا الثاني فليس قوله: ﴿جَهَنَّمَ﴾ إظهارًا في مقام الإضمار[3].

دلالةُ الأمرِ في ﴿ٱدۡعُواْ﴾:

الكفرةُ في مقامِ انكسارٍ وضَراعةٍ

الأمرُ في قولِهِ تعالى: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ﴾ للالتماسِ والضَّراعةِ؛ إذ الكفّارُ في مقامِ ضراعةٍ وانكسارٍ للخَزَنةِ، بعدما عاينوا ما في النّار من أهوال، ولكنَّها ضراعة لا تنفع، فقد فات وقت التَّحسُّر والنَّدم.

دلالةُ التَّعبيرِ بالرَّبِّ مضافًا إلى ضميرِ الخَزَنةِ:

استجابةُ الدُّعاءِ مِن إحسانِ الرَّبِّ إلى عبادِهِ

في التَّعبيرِ باسم الرُّبوبيَّةِ مضافًا إلى ضميرِ الخَزَنةِ في قولِهِ تعالى: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ﴾ ضربٌ مِنَ الإغراءِ بالدُّعاءِ، أي: لأنَّكم أقربُ إلى استجابتِهِ لكُم[4]، فهو المُحسِنُ إليكُم بأنَّكم لا تجدونَ ألمًا

(1) الزمخشري، الكشاف: 4/ 171، والنسفي، مدارك التنزيل: 3/ 215.
(2) الطيبي، فتوح الغيب: 13/ 523، والآلوسي، روح المعاني: 12/ 329.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 164.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 164.

مِنَ النّارِ[1]، أو لبيان أنَّهم ليسوا مؤهَّلين لهذا المطلب من الدُّعاء لبُعدهم عن الله، ولعدم إيمانهم بالرُّسل، بل أوقعوا الإيذاء بهم بعد أن دعاهم سبحانه إلى الإيمان به وبرسله وكتبه، فكيف يدعونه، وليس لهم ما يؤهِّلهم لهذا الدُّعاء؟

نكتةُ تخصيصِ الخَزَنَةِ بالخطابِ:

انكسارُ المشركينَ واستصغارُهم أنفُسَهم

قالَ الكفرةُ للخَزَنةِ: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ﴾، ولم يقولوا: (ادْعوا ربَّنا)؛ لِما سبقَ مِنَ التَّنبيهِ على قُرْبِ الخَزَنةِ مِن ربِّهم، وللإشارةِ إلى أنَّ الكفرةَ يجدونَ حرجًا لو قالوا: ربَّنا؛ لأنَّهم عاشوا يُنكِرونَ رُسُلَهُ وآياتِهِ، ويحاربونَ الحقَّ وأهلَهُ[2].

بلاغةُ موقعِ ﴿يُخَفِّفۡ﴾ مِنْ حيثُ الإعرابُ:

يقينُ الكفرةِ باستجابةِ دعاءِ الخَزَنةِ

جزْمُ ﴿يُخَفِّفۡ﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ يُخَفِّفۡ عَنَّا﴾ بعدَ الأمرِ بالدُّعاءِ: إمّا بتقديرِ لامِ الأمرِ لكثرةِ الاستعمالِ، وإمّا لكونِهِ في جوابِ الطَّلبِ لتحقيقِ التَّسبُّبِ، فيكونُ فيهِ إيذانٌ بأنَّ الكفرةَ واثقونَ بأنَّ خَزَنةَ جهنَّمَ إذا دعَوا اللّهَ؛ استجابَ لهُم[3].

بلاغةُ التَّضمينِ في ﴿يُخَفِّفۡ﴾:

التَّخفيفُ مشتملٌ على النَّقصِ

ضمِّن الفعل ﴿يُخَفِّفۡ﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿يُخَفِّفۡ عَنَّا يَوۡمٗا مِّنَ ٱلۡعَذَابِ﴾ معنى (ينقص)، فنصب ﴿يَوۡمٗا﴾، أو هو على تقدير مضاف، أي: عذاب يوم، أي: مقدار يوم، وانتصب ﴿يَوۡمٗا﴾ على المفعول به لـ ﴿يُخَفِّفۡ﴾[4].

غرضُ تقديمِ ﴿عَنَّا﴾:

قُدِّمَ ﴿عَنَّا﴾ على ﴿يَوۡمٗا﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿يُخَفِّفۡ عَنَّا يَوۡمٗا مِّنَ ٱلۡعَذَابِ﴾؛ للاهتمامِ بالتَّخفيفِ عنهُم، إشارة إلى شدَّة عذابهم، كأنَّهم يطلبون التَّخفيف لهم دون غيرهم.

(1) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 85.
(2) أبو موسى، آل حم، ص: 179.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 164.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 164.

نكتةُ تنكيرِ ﴿يَوۡمٗا﴾:

شـدَّةُ عـذابِ المشركينَ في جهنَّمَ

تنكيرُ ﴿يَوۡمٗا﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿يُخَفِّفۡ عَنَّا يَوۡمٗا مِّنَ ٱلۡعَذَابِ﴾ للإفرادِ، أي: يُخفِّفْ عنّا فردًا مِن أفرادِ اليومِ، أيًّا كانَ[1]، وفي ذلكَ ما لا يخفَى مِنَ الإيماءِ إلى شدَّةِ عذابِهم وسوءِ حالِهم؛ إذ يطلبونَ تخفيفَ العذابِ، ولو يومًا واحدًا مِنَ الأيّامِ.

بلاغةُ التَّعبيرِ باليومِ:

اليومُ كنايةٌ عن قلَّةِ الزَّمنِ

يحتملُ أن يكونَ التَّعبيرُ باليومِ في قولِهِ ﷻ: ﴿يُخَفِّفۡ عَنَّا يَوۡمٗا مِّنَ ٱلۡعَذَابِ﴾ كنايةً عن القلَّةِ، أي: يُخفِّفْ عنّا، ولو زمنًا قليلًا[2].

ويحتملُ أن يكونَ المرادُ مقدارَ يومٍ مِن أيّامِ الدُّنيا؛ لأنَّهُ ليسَ في الآخرةِ ليلٌ ولا نهارٌ[3].

سرُّ اقتصارِهم على طلبِ تخفيفِ يومٍ من العذابِ:

يـأسُ المشركينَ مِنَ الخلاصِ مِنَ العذابِ

اقتصرَ المشركونَ في قولِهم: ﴿يُخَفِّفۡ عَنَّا يَوۡمٗا مِّنَ ٱلۡعَذَابِ﴾ على تخفيفِ قدرٍ يسيرٍ مِنَ العذابِ في مقدارٍ قصيرٍ مِنَ الزَّمانِ، دونَ رفعِهِ رأسًا، أو تخفيفِ قدرٍ كثيرٍ منهُ في زمانٍ مديدٍ؛ لأنَّ ذلكَ عندَهم ممّا ليسَ في حيِّزِ الإمكانِ، ولا يكادُ يدخلُ تحتَ أمانيهِم[4].

وأيضًا لمّا ظنّوا الخَزَنةَ أرجَى للاستجابةِ؛ سألوا التَّخفيفَ يومًا مِن أزمنةِ العذابِ، وهو أنفعُ لهُم مِن تخفيفِ قوَّةِ النّارِ الَّذي سألوهُ مِن مستكبريهِم[5].

سرُّ التَّعبيرِ بـ ﴿مِّنَ﴾:

احتمالُ البيانِ والتَّبعيضِ

يجوزُ أن يكونَ ﴿يَوۡمٗا﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿يُخَفِّفۡ عَنَّا يَوۡمٗا مِّنَ ٱلۡعَذَابِ﴾ هو المفعولَ بحذفِ المضافِ، أي: قدرَ يومٍ، و﴿مِّنَ﴾ في

(1) محمد أبو موسى، آل حم، ص: 180.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 165.
(3) البيضاوي، أنوار التنزيل: 5/ 60، والآلوسي، روح المعاني: 12/ 329.
(4) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 279.
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 164.

﴿مِّنَ ٱلۡعَذَابِ﴾ بيانيَّة، ويحتملُ أنْ يكونَ ﴿مِّنَ ٱلۡعَذَابِ﴾ هو المفعولَ على أنَّ ﴿مِّنَ﴾ بمعنى البعضِ، أي: بعضَ العذابِ[1].

دلالةُ تعريفِ ﴿ٱلۡعَذَابِ﴾:

تعريفُ العذابِ في قولِهِ تعالى: ﴿يُخَفِّفۡ عَنَّا يَوۡمًا مِّنَ ٱلۡعَذَابِ﴾ للعهدِ؛ لأنَّ المرادَ بهِ عذابٌ مخصوصٌ، وهو عذابُ النّارِ.

(1) البيضاوي، أنوار التنزيل: 5/ 60، والقونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 17/ 78.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الحادي والخمسون،
سورة الزُّمر من الآية 73 إلى سورة غَافِر الآية 76
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الحادي والخمسون، سورة الزُّمر من الآية 73 إلى سورة غَافِر الآية 76
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 51 ، 822 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-642-97-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 51 : المجلد الحادي والخمسون، سورة الزُّمر من الآية 73 إلى سورة غَافِر الآية 76.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-642-97-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4644027 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»